ابن دحية الكلبي
وتاريخ الدولة العباسية
(النبراس في خلفـاء بني العباس)

ابن دحية الكلبي وتاريخه

١ — التاريخ وتلقيه :

الشعوب أفراداً وجماعات قديمًا وحديثًا قد أشغلتها الوقائع اليومية ، فلا تستطيع ان تكون عنها بنجوة ، وانما تسوق هذه الحوادث أحياناً الى تفسيرات متنوعة ... وهناك الاتجاهات والنزعات التاريخية مما هو مشهود دائمًا فلا يكتفي المرء بما توحيه اليه نفسه آنيًا ، فيحكم بما شاء حسب أهوائه وميوله ، بل يسترشد غالبًا بما يؤهله لصحة الحل ، فيمضي نحو الأقرب للواقع ، ومن ثم يزاول طرقاً عديدة ، من أهمها لرجوع الى الوقائع السابقة والاهتداء بنورها ، وما تلهمه مما يتعلق بنا او يعود للآخرين ..

وأمثلة ذلك كثيرة كأن يقال ، (كذا فعل نابليون) ، أو (جنكيز) .. في الأمور الحربية أو الشئون السياسية . وهكذا نهج الإمام الغزالي في خطته العلمية أو الفلسفية .. فنعلم ان المرء في سيرته يجاري من سبقه ، ويتعقب ما حدث من أعمال ، أو صناعات ، أو علوم وآداب .. وبذا يستفيد من تجارب الغير ..

واذا كانت (الحياة الفردية) تراعي ما جرى ، فلا شك ان (الحياة الاجتماعية) أولى ان تستند الى الحالات القديمة العهد ، أو المشهودة الآن في الأمم من شرائع ، وعقائد ، وصنائع ، ونظم فتجعل (نفسيات الأقوام) وأعمالها في هذه الحياة نموذجًا ، وقدوة ، لتقوية الغرائز الضعيفة والاعتبار بالأعمال الخالدة فتنشط ، وتنبعث فيها الهمة فتثور من خمولها بل قد تنتفع من الشعوب المنحطة ، والحيوانات العجم بتقليد بعض أوصافها ، او التمرن على ما ترغب فيه منها .. وقد رأينا الكثيرين عدو الصلاح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في بعض الأقوام ناجماً من بعض السجايا والغرائز ، او ماتحلت به من الفضائل ..

ومن هذا نعلم ان الأمم في حاجة الى ما ينبهها من غفلتها ، او يوقظها من غفوتها ، ولا فرق بين أن تكون المنبهات فيما نراه من الحوادث اليومية ، أو الوقائع العظمى ، وتطورات الزمان ، او تجليات العقليات وانكشافها .. أو ان تكون من حوادثنا التي هي ألصق بنا وأقرب الى تفهمنا ، او انها أتتنا من الخارج كوقائع الأقوام والأمم في زماننا او في أمد انقضى .. والانتفاع ليس له وقت محدود ، او احداث خاصة ..

هذا معوّل الأمم ، والأفراد ، وعليه ترتكز الحضارة ، ويترتب نظام الأقوام والشعوب ، فينظم الفرد أو الأمة ما جرى ، وينسق ما علم ، ويتألف من هذا كله (التاريخ) بضروبه وفروعه ، والأمة الصالحة هي التي تتكون لديها (مجموعات) منه صادقة صحيحة ، ترجع اليها ، وتعرض ، فينسهل الأخذ ، لتكون خير مرشد في نهج الحياة ، والا فلا يعقل ان يغالط المرء نفسه .. « افمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى ، ام من يمشي سوياً على صراط مستقيم » .

وهذه أشمل من ان تتعلق بالإنسان او بأرضه ، او بمواطن قد لا تكون لها صلة به ، بأن تتناول الكرة الأرضية ، والهيئة السماوية فتكون الاستفادة أعم ..

٢ — التاريخ في نظر ابن دحية :

وموضوع بحثي مؤرخ أندلسي مصري مرّ بالشام ، وورد العراق وهو (ابن دحية الكلبي) ، وكان هذا قد كتب تاريخاً للدولة العباسية دعاه (النبراس في دولة بني العباس) لزمان سبق ظهور المغول في بلاد الاسلام إلا اني أودّ قبل الدخول في التوضيح عن المؤلف وتاريخه ان اعين التلقي التاريخي في نظره ، قال :

« بالتاريخ تعرف المناقب والمفاخر ، ويدرك العلم الأول والآخر ، فكلّ علم من التاريخ يستنبط ، وحسبه ذا الفخر فقط .. فلولا التاريخ .. ما عرفت الرسل وأزمانهم .. وشرائعهم المخصوصة بكل منهم وأديانهم .. وفيه من التبحر بعلم الحديث والحديث المعل والصحيح ، والمواليد والوفيات ، والمحيا والممات ، ثم الفقه منه في الإتفاق ، والاختلاف يستشار ، والفصاحة فيه من الألسنة تستثار ، وأصحاب القياس عليه يبنون ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واصحاب المقالات به يحتجون ، وثمار معرفة الناس منه تخترق ، ودرر امثال الحكماء منه تلتقط ، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس ، وأدب سياسة الملوك وحيل الحروب منه تلتمس ، وكل غريبة منه تعرف ، ومن بحره تغرف ، وكل أعجوبة منه تستظرف .. يدخل في كل مقام .. ويتجمل به في كل محفل وناد ، ففضيلته في العلوم صحيحة بينة ، وله على فضله شهود بينة .. » اهـ (١)

وفي هذا بيان واف لمعرفة مطالب التاريخ للعلوم وتطورها ، وللسياسة وضروبها ، وللحروب وزعازعها ، والحقوق وتكاملها ، والأخبار وصحتها والآداب وبيانها .. فلا مجال للتعليق .. وانما تصح الاستفادة منه في كل حين ، ولكل علم وفن وأدب وسياسة ودين ..

- ٢ -

ابن دحية الكلبي

١ — حياته :

هذا المؤرخ أندلسي ، عاش بمصر كثيراً ، وصار من مشاهير علمائها ، وهو مجد الدين ابو الخطاب عمر بن الشيخ الإمام أبي علي حسن بن علي سبط الامام أبي البسام الفاطمي المعروف بذي النسبين ، دحية والحسين .. وساق ابن خلكان نسبه مما وجده بخطه كما جاء في تاريخه النبراس أيضاً .

اشتهر المترجم في ثقافات متعددة ، عرف بالتاريخ ، كما ذاع صيته في الحديث ، وهو من النوابغ في الآداب والعلوم ، وأثره التاريخي أبقته الأيام فخراً لمصر والعراق ، وهو (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس) دفعه الى تحريره أسفاره الى بغداد والى الأقطار الاسلامية الأخرى فكشف عن صفحة من تاريخ قطرنا ، ودل على العلاقة المكينة . وهكذا فعل عراقي ذهب الى مصر فكتب تاريخها أعنى به الموفق عبداللطيف البغدادي المعروف بـ (ابن اللباد (٢)) ..

(١) النبراس ص ٦ (٢) الموفق البغدادي توفي سنة ٦٢٩ هـ - ١٢٣١ م وله كتاب الافادة والاعتبار ، وتاريخ مصر الكبير . وهذا الأخير نقل منه الذهبي كثيراً في تاريخ المغول وكان معاصراً وترجمته في تاريخ [الوافي بالوفيات] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمعاصرون نقلوا منه نصوصاً عديدة كما تكلموا على المترجم ، ونقدوه ، وأبدو الكثير من أحواله .. إلا أنهم لم يتعرضوا لتاريخه (النبراس) ، والظاهر انه لم يقع لهم ، او وقع ولم نعثر لهم على نقل منه ، او إيراد نص من نصوصه الا في وقت متأخر عنهم ، فبقي مطموراً في زوايا الإهمال مدة .. كتبه لولي العهد بمصر باحثاً عن الدولة العباسية في بغداد ، وكان قد عاد اليها بعد تجولات كثيرة في مختلف الأقطار ..

٢ — أقوال المؤرخين فيه :

لا أجد حاجة للتوغل في تاريخ ابن دحية من جميع الوجوه ، وقد علمنا تلقياته للتاريخ ، ولا ريب ان أثره هذا ينبئ عن قدرته العلمية ، وفيه تعرض لبيان اسماء بعض مؤلفاته خلال المباحث والتحليل النفسي يسوقنا قطعاً الى انه كان من فحول العلم والأدب وكفى ان نعين ما قاله بعض المؤرخين فيه لنتبين ما أحدثه من نفسيات متعاكسة ونقدم الا انه إذا لم يكن اعظم من ناقديه فلا يقل عنهم مكانة ، ولا نتبسط فيه كثيراً ، فكل احد يؤخذ من قوله ويرد .. الا اننا راعينا المطالب بقدر واقتصرنا على الصفوة ..

قال ابن خلكان : « كان من أعيان العلماء .. ومشاهير الفضلاء ، متقناً لعلم الحديث النبوي وما يتعلق به ، عارفاً بالنحو واللغة ، وأيام العرب واشعارها واشتغل بطلب الحديث في اكثر بلاد الأندلس الاسلامية ولقي بها علماءها ومشائخها ، ثم رحل منها الى بر العدوة ، ودخل مراكش ، واجتمع بفضلائها ، ثم ارتحل الى افريقية ومنها الى الديار المصرية ، ثم الى الشام والشرق والعراق ، وسمع ببغداد من بعض اصحاب ابن الحصين ، وسمع بواسط من ابي الفتح محمد بن احمد ابن الميداني ، ودخل الى عراق العجم وخراسان وما والاها ، ومازندران ... كل ذلك في طلب الحديث ، والاجتماع بأئمته والأخذ عنهم ، وهو في تلك الحال يؤخذ عنه ، ويستفاد منه ..

قدم مدينة اربل في سنة ٦٠٤ هـ — (١٢٠٧ م) ، وهو متوجه الى خراسان ، فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمه الله مولعاً بعمل مولد النبي ﷺ ، عظيم الاحتفال به ، فعمل كتاباً سماه (التنوير في مولد السراج المنير) ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقرأه عليه بنفسه .. وختم الكتاب بقصيدة طويلة مدح بها الأمير كوكبري .

(ثم قال ابن خلكان) : ان القصيدة تنسب الى الأسعد بن مماتي ، ورآها في ديوانه ، وكان قد توفي سنة ٦٠٦ هـ ، وأنشدها ابن دحية في السنة المذكورة .. ثم قال :

« ولما عمل هذا الكتاب وقع له الملك المعظم المذكور الف دينار .. وكانت ولادته في مستهل ذي القعدة سنة ٥٤٤ هـ (١١٥٠ م) ، وتوفي يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الأول سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم رحمه الله » اهـ .[1]

وفي ابن كثير : « الحافظ ، شيخ الديار المصرية في الحديث ، وهو أول من باشر مشيخة دار الحديث الكاملية بمصر ، وتكلم الناس فيه بأنواع الكلام ، ونسبه بعضهم الى وضع الحديث في قصر صلاة المغرب ، وكنت أودّ ان اقف على اسناده لنعلم كيف رجاله ، وقد اجمع العلماء — كما ذكره ابن المنذر وغيره — على ان المغرب لا يقصر ، والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنه بمنه وكرمه » اهـ[2]

وفي أبي شامة ابيات حسنة في المترجم للشيخ السخاوي ، وأطنب الذهبي في ترجمته ونقل عن معاصرين كثيرين انه كان كثير الوقيعة في الأئمة ، وكان على كثرة علمه وفضائله معروفاً بالمجازفة والدعاوي العريضة ، او انه يدعي اشياء لاحقيقة لها .. ومن هؤلاء من اختبر حفظه ، او امتحن فهمه .. ولم يكتف الذهبي بما أورده من النقد المرّ حتى عدّه مدلساً ..[3]

وقال سبط ابن الجوزي : « وفيها — سنة ٦٣٣ هـ توفي ابن دحية المغربي المحدث ، وكنيته ابو الخطاب ، كان في المحدثين مثل ابن عنين[4] في الشعراء يثلب علماء المسلمين ، ويقع في أئمة الدين ، ويزيد في كلامه ، فترك الناس الرواية عنه ، وكذبوه ، وكان الكامل مقبلاً عليه ، فلما انكشف حاله اعرض عنه ، واخذ منه دار الحديث ، واهانه .. وكان قدم دمشق ، وسأل الوزير ابن شكر ان يجمع بينه وبين شيخنا تاج الدين ، فاجتمعا وتناظرا ، وجرى بينهما البحث في قول العرب لقيته

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٦٦ و ص ٩٥ (٢) البداية والنهاية : ابن كثير ج ١٣ ص ١٦٦

(٣) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٠٥ (٤) ترجمته في ابن كثير ج ١٣ ص ١٣٧ قال كان هجاء وقل من سلم من الدمامشقة من شعره ، وله (مقراض الاعراض) ..

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من وراء وراء ، فقال ابن دحية لا يقال وراءُ وراءُ بالرفع بل بالنصب فقال تاج الدين أخطأت بل الصحيح وراء بالرفع ، فسفه على شيخنا تاج الدين فقال له يا مدعي ! انت تكتب (وكتب ابن دحية) وابن دحية باجماع المحدثين ماأعقب فقد كذبت في نسبك.

قلت[1] والصحيح مع تاج الدين ، وقد ذكرها الجوهري فقال : وراء بمعني خلف ، وقد يكون بمعنى قدام ، وهو من الأضداد ، وأنشد :

اذا أنا لم أومن عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراء وراء » اهـ[2]

وزاد العيني في عقد الجمان : « قال الأخفش يقال لقيته من وراء فترفعه على الغاية اذا كان غير مضاف بجعله اسماً ، وهو غير متمكن كقولك من قبل ومن بعد » اهـ ، والملحوظ ان هذه الزيادة من كلام العيني ، ولكنه لم يفصل بينها وبين قول السبط ، وقول اليونيني وفي هذا وامثاله يؤاخذ العيني بأنه ينقل ولا يبالي بتوجيه النص ، ومجري العبارة ..

وترجم ابن دحية العلامة المقري في كتابه نفح الطيب مفصلاً وبين انه ظاهري المذهب فقال :

« وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار ، وقدره أجلّ مما ذكروه ... » اهـ[3] ، ولعل التحامل ناجم من انه ظاهري ، فخاف القوم على مكانتهم المذهبية ، فتعصبوا عليه .

وهنا أدت المناقشة العلمية الى مهاترة فتجاوزت حدّها . وان الخلاف قد لايقف احياناً عند المباحثة العلمية ، فيلجأ المرء الى العداء الشخصي فتتولد النفرة ، فيعدّ المناظر ان ذلك سوف يفقد مكانته ويضيع عليه منزلته ..

كتب ابن دحية كتاب (الصارم الهندي في الرد على الكندي) . الفه لما ان حضر هو والتاج الكندي عند الوزير بالوجه المذكور ولما بلغ ذلك الكندي عمل مصنفاً سماه (نتف اللحية من ابن دحية) .[4]

---

(١) القول هنا لقطب الدين اليونيني فانه لخص تاريخ مرآة الزمان وذيل عليه . وعند التلخيص فصل بين ما قال وبين المنقول بقوله (قلت) ، وهذا ما يدعنا نقطع بأن المطبوع في اميركا من مرآة لزمان هو ملخصه . (٢) مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٦٢ سبط ابن الجوزي المطبوع في أميركا .
(٣) نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٧ طبعة مصر سنة ١٢٧٧ هـ (٤) كشف الظنون ج٢ ص ٧٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والموضوع لغوي ، ولم يكن الواجب ان يتجاوز حدود ما ورد في اللغة ، والاستدلال بالنصوص ، ولكن النفسيات في تهيجها وحرصها قد تشذ عن الغرض .

وفي معجم الأدباء نعته ياقوت بالمحدث الفاضل ، ونقل عن ابن عنين الشاعر المولع بالهجو قوله :

دحية لم يعقب فلم تعتزى اليه بالبهتان والإفك
ماصح عند الناس شيء سوى أنك من كلب بلا شك[1]

٣ — قيمة النقد الموجه عليه :

لا نريد ان نزكي ، او ندافع ، وانما نشاهد غالب النقد الموجه عليه شخصياً ، ومجرداً . والسند في الحديث اليوم ، بل وفي عصر المترجم أيضاً زالت قيمته بما دون من كتب الحديث المتداولة ، والرجوع اليها سهل ، وفي متناول كل أحد ، كما ان نقد الرجال ثابت في آثار عديدة ، من المتيسر الحصول عليها ، وان الحافظة يطرأ عليها بعض الضعف من تراكم المعلومات والاضطراب في التذكر .. وهذا عيب محدود ، لا يؤاخذ عليه بهذه القسوة ، والنقد له ميزان في (الجرح والتعديل) والأمر — كما يظهر — ناشيء من منافسة دنيوية ، او اختلاف في الاتجاه .. وكان بعض انداده من المعاصرين يراعون التحزب والتعصب بكل قسوة وشدة .. هذا في حين ان صاحب نفح الطيب يذكر حادث اختباره . وظهور قدرته العلمية في الحديث .

والمؤرخون مجمعون على انه رجل عظيم ، يعد بين أكابر رجال العلم ، وأعاظم المؤلفين ، ومشاهير الأدباء والمحدثين .. وقد مضى الزمن الذي يقبل فيه القول من كل قائل بل يجب ان ينبه على جهات الغلط والنقص .. ومن راجع تاريخ الرجل وهو موضوع بحثنا علم انه لم يعدل في تاريخه عن بيان النص ، وإيراد مرجعه في مواطن تضطرب فيها الأوهام أو تلتبس الظنون .. والأمور النقلية لا يطلب منها اكثر من تصحيح النقل .

هذا . وما يشاهد في الكتاب من لسان أدبي وسجع في الغالب لا يزال يراعيه الكثيرون من الكتاب الى الآن ، إلا ان قدرة بيانه ، وقوة إفادته ، وتلاعبة في

(١) ارشاد الأريب ج ٧ ص ١٢٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ضروب البلاغة وسيطرته على اللغة مما حبب الأسلوب ، وان كان عصرنا ينبو منه ، فصار يؤخذ ، ولا ينفر منه ، فلم يتعثر به المؤلف ، ولا أخفى المعاني تحت ستار السجع ، فكأنها جاءته عفواً ، وأتته طوعاً ، بلا تعب ولا عناء ، ولا زيادة كلفة او تكلف ..

٤ — أفراد أسرته :

وهنا أعين ما وصل اليّ خبره من افراد أسرته فأقول :

١ — اخوه وهو ابو عمرو عثمان بن الحسن ، أسن من اخيه ابي الخطاب ، وكان حافظاً للغة العرب ، قيماً بها .. ولما عزل الكامل ابا الخطاب المذكور عن دار الحديث التي كان أنشأها بالقاهرة ، رتب مكانه اخاه المذكور ، ولم يزل الى ان توفى يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى سنة ٦٣٤ بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم ، وله رسائل استعمل فيها حوشي اللغة[١] . وقال ابن كثير : « وكان ندر في صناعة الحديث ايضاً رحمه الله تعالى » اهـ[٢]

٢ — شرف الدين ابوطاهر (ابوجعفر) محمد بن الحافظ ابي الخطاب عمر بن دحية المصري ، ولد سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) وسمع اباه وجماعة وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية مدة ، وكان فاضلاً ، مات في ٢٠ شهر رمضان سنة ٦٦٧ هـ (١٢٦٩ م) بالقاهرة ودفن بالقرافة ، قاله في عقد الجمان[٣] . ومثله في ابن كثير . وجاء في سماع التاريخ انه سمعه من أبيه ، وكناه بأبي جعفر ..

٣ — محمد بن شرف الدين . وهذا جاء عنه في سند سماعه في التاريخ الموضوع البحث بما نصه : « بلغته قراءة على سيدي والدي بسماعه له من السيد والده رضي الله عنه وعنا في مجالس آخرها من شهر جمادى الآخرة سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) وكتب محمد بن محمد بن دحية عفا الله عنه » اهـ .

ومن هذا كله نعلم بعض مشاهير الأسرة ..

---

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٥٤٤

(٢) البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٤٦ ونفح الطيب ج ١ ص ٣٧٣ .

(٣) عقد الجمان ج ١٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— ٣ —

تاريخـــه

١ — النبراس في دولة بني العباس :

يدل على قدرته العلميـة ، ومكانته الأدبية ، قال في مقدمته :

« ان المقام المولوي الأجلي السلطاني : الملكي الكاملي ، سلطان الاسلام والمسلمين ، ناصر الدنيا والدين ، عز الملوك والسلاطين ، ولي العهد .. ابا المظفر محمد بن مولانا السلطان الأعظم .. سيف الدنيا والدين خليل امير المؤمنين ابي بكر محمد بن السيد الأجل ملك الأمراء وابي الملوك العظماء .. نجم الدين ذي المروءة المرضية ، والسيرة الرضية ، ابي منصور أيوب بن شادي . سألني املاء كتاب في التاريخ يصغر جرمه ، ويكثر علمه .. الخ » اهـ[1]

وهنا يعين من قدم الكتاب الى جنابه ، و يبين منزلة المعروض الى حضرته . وأطال حتى قال:

« وقد كان تقدم لي في التاريخ تواليف كثيرة ومصنفات مأثورة وأثيرة فاقتصرت الآن على تاريخ خلفاء بني العباس ، أولي الأصل الشامخ والفرع الثابت الأساس ، ففيها كفاية ، وهي اللباب وغيرها نفاية ، فذكرها أجدى من كل مطلوب ، وأندى على النفوس والقلوب ، من قوم ينتمون الى أكرم المناصب والمناسب ، يحيون بالريحان يوم السباسب[2] ، فرفعت بأسمائهم المنابر ، وتوفرت على صفاتهم الأقلام والمحابر ، وكانوا بالإمامة أظهر البنين ، وقاربت مدة الخلافة فيهم خمسمائة من السنين ، فأتيت بالخبر من فصه ، وبالحديث على نصه ، انظم تارة وأنثر ، وامرّ هوناً في حديثهم ولا اعثر ، وذلك على الإيجاز والاختصار ، واصرف الى ذكر آبائهم دون أمهاتهم عنان الأفكار ، رغبة في ذكر الرجال عن النساء ، مع ان اكثرهن من الاماء ، فذكر الرجال اليوم بشرفهم في النجوى .. ادعوهم لآبائهم هو أقرب للتقوى ..» اهـ وهكذا مضى .. وفي هذا ما يغني عن وصف الكتاب .

(١) التاريخ نفسه ص ٣.

(٢) يوم الشعانين ، عيد الملوك العجم يعرف بالنيروز والمهرجان . [هامش الأصل] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ – الخليفة السفاح في تاريخ النبراس :

يوضح هذا ذكر اول خليفة ، فقد طال الجدل فيه بين أرباب الأقلام في هذه الأيام ، واليكم خبره قال :

« أول الخلفاء ابو العباس عبد الله بن الأمير السيد الشريف الامام العدل المحدث ابي عبد الله ابي ابراهيم محمد .. (واطنب في ذكر آبائه واجداده) الى ان قال :

« ولما عرضت الخلافة على ابن عباس رغب عنها فعوّضه الله في بنيه خيراً منها فلما كان يوم الجمعة الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢ من الهجرة خطب الخليفة الإمام امير المؤمنين ابو العباس السفاح ، بعد ما اشتفت من نفوس اعدائه صدور الصفاح ، وولغت في دمائهم ثعالب الرماح ، وتبلجت بمحوليل الدولة الاموية الدولة العباسية تبلج الصباح ، وظهر الله ببني هاشم ضواحي البسيطة وسبلها ، وأقر الخلافة في بيت ابن عم نبيه محمد ﷺ وكانوا احق بها واهلها .

ولقب بالسفاح ، لكثرة ما سفح من دماء المبطلين لأنه يقال سفح الدمع انصبّ ، وسفحته ايضاً ، يتعدّى ولا يتعدى . قال الأديب ابو الخير الأنباري : والسفاح القادر على الكلام ، وصدق لعمري في هذا الكلام ، لأن اول خطبة خطبها وقام فيها ، أتى من الافصاح والبلاغة ما فيها ، وقد وضع في تسمية السفاح واخيه المنصور أحاديث موضوعة ، وجعلت الى رسول الله ﷺ مرفوعة ، اسندها الطبراني في معجمه ، وابو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة من تأليفه ولم يبيناها ولا اوضحا وضعها ووهاها ، واسندا في ذلك اولادهم وعقبهم واسماء بعضهم ولقبهم ، والأحاديث كلها تدور على كذابين وضاعين ، داخلين تحت الوعيد النبوي عند كافة أهل الدين ، وانما هم ممن باع الدين بالدنيا ، ووضع لأول الأمر ما يتقرب به عندهم ويبعد من الأخرى ، نعوذ بالله من شهوة تغلب على عمل ، وتؤدي الى وضع على رسول الله ﷺ في النقل .

وكان السفاح كريماً سخياً بالأموال ، حسن الأخلاق ، متألفاً للرجال ماضي العزيمة ، صعب الشكيمة ، ذا سطوة على الأعداء ، متواضعاً للأصحاب والأولياء ، زاد في أعطيات الناس ، وكان يأكل معهم الطعام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بويع بالكوفة ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر وخطب قائماً ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً فناداه الناس يا ابن عم رسول الله أحييت سنة رسول الله ﷺ .. وكتب الخليفة الى عمه عبد الله بن علي يأمره بالمسير الى الى مروان بن محمد الجعدي .. وكان أحزم بني مروان ولكنه تولى الخلافة والامر مدبر عنهم ، فلم يستقر له حال ، ولا ثبت في مكان واحد لخروج بني عمه وغيرهم عليه ، فزحف مروان الى عسكر بني العباس ، فاقتتلوا فهزم مروان وفضّ جمعه ، واتبعه عبد الله بن علي حتى نزل نهر ابي فطرس من ارض فلسطين واجتمعت اليه بنو أمية حين نزل النهر فقتل منهم بضعة وثمانين رجلاً ، وخرج صالح بن عبد الله بن عباس بعد مقتلهم في طلب مروان حتى لحقه بقرية من قرى الفيوم من ارض مصر يقال لها بوصير فقتله ، وكان الذي تولى قتله رجل على مقدمة صالح يقال له عامر بن اسماعيل من أهل خراسان ، ولم يمكن من نفسه ، ولم يزل يقاتل بسيفه الى ان سقط ميتاً . كذا قال ابن حزم في المرتبة الرابعة وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول . وقال ابن قتيبة في المعارف قتل في ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) وهو أولى بالصواب ؛ وله تسع وخمسون سنة . وقال ابن حزم تسع وستون سنة . قال احمد بن ابي يعقوب بن وهب بن واضح الكاتب في تاريخه : قتل في ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ وهو ابن ٦٤ سنة وقيل ابن ٦٨ .. » اهـ الى آخر ما هنالك مما مضى به حتى انهى خلافته .. ولا يترك خلال المباحث لفظاً الا اوضح معناه ، ولا حديثاً الا عين سنده وما قيل فيه ، ولا مرجعاً تاريخياً الا ذكره .. ولا نقداً موجهاً على مؤرخ الا أورده .

٣ — الخليفة الناصر في النبراس :

وهنا أبين ما قاله في الخليفة الناصر لدين الله وبغداد أيام دخلها قال :

« ... أخذ الأمر حقاً وقوة ، وفتح البلاد طاعة وعنوة ، وطبقت دعوته جميع الآفاق ، وطلعت شمس كلمته باهرة الاشراق ، واوقع بوزراء السوء على الاطلاق ، وقام بما عليه من العهد والميثاق . (وقال) : وقد دخلت بغداد مراراً ، واستأذنت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سدة الخلافة الناصرية جعل الله الاقدار لها أنصاراً ، في الرواحة بهـا وبواسط القصب ، فأذن لي سراً وجهار ، فامتثلت الاذن وقطعت من كبار المؤلفات اسفارا ، واستضأت من علوم السنة بما يعد مع الصبح اشراقاً واسفارا .. (حتى قال) :

ولما رحلت في طلب العلم الى البلدان ، من بلاد بني عبد شمس الى بلاد عبد المدان ودخلت خراسان ، وعاينت ملك بني ساسان .. (وهكذا ذكر ما مرّ به من الممالك قال) وأخذت من طريق خوزستان الى طريق حلوان ، وقاسيت من الغربة اصناف الألوان ، ومررت على مدائن كسرى انوشروان ، وزرت بها قبر صاحب النبي ﷺ الزاهد العابد المعمر سلمان ، وأعملت منها السير والأغذاذ الى مدينة بغداذ ، فنظرت اليها معالم وربوعا ، وأقمت بها مرة عاماً ومرة اسبوعاً واسبوعا ، وانا ابدي في ندائهم واعيد ، والترب قد علا منازلهم والصعيد ، واسأل عن الخلفاء الماضين وانشد ، ولسان الحال يجاوبني وينشد :

يا سائل الدار عن اناس ليس لهم نحوها معـاد
مرّت كما مرت الليالي أين جديس واين عاد

وعدّد ما هنالك من أمم انقرضت فقال :

« بلغتنا والله وفاتهم ، ولم يبق الا ذكرهم وصفاتهم ، قبض ملك الموت أرواحهم قبضا ، ولم يترك لهم حراكاً ولا نبضا .. » اهـ

وبعد ان عدّد الطغاة ومن ملكوا الملك الواسع ، وأوضح عن ظلمهم قال في الخلية الناصر :

« وزعم المؤرخون انه كان أيضاً يملأ القلوب رعباً ، ويسوم اصحابه قتلاً وصلباً ، مع الطمع في المال ، وعدم النظر في عقبى المآل ... » اهـ

ثم التجأ الى الله ، وسأله العفو عن الاساءة وطلب المغفرة .. رحمه الله .

هذا وكل التحريات في الآثار لم نظفر منها بطائل في وصف النبراس او نقده والكلام عليه الا ما ذكره العلامة المقري في نفح الطيب فقال :

« ما أحسن قول ابي الخطاب ابن دحية الحافظ بعد كلام ما صورته (ثم ذكر ما ذكرته في النص المبين أعلاه ، وقال) : وهو آخر كتابه النبراس في تاريخ بني العباس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وذكرته بطوله لمناسبة وقد سلكت هذا المنحى نظماً في خطبة هذا الكتاب ... » اه [1]
هذا ونسخته أغنتنا عن غيرها وفيها عن أقوال الآخرين ..

٤ — مراجع النبراس :

رجع المؤلف في كتابه النبراس الى كتب تاريخية عديدة ومهمة ، منها المتداول المعروف مثل المعارف لابن قتيبة ، وكتاب ابن واضح والمسعودي الا ان التواريخ الأخرى لا تزال في طي الخفاء ، او مطمورة في زوايا الإهمال ، منها ما نحن في حاجة ماسة اليه ، والاطلاع على نصوصه للاستفادة منه ، والاستقاء من معينه ، واذا كنا عرفنا ان هذه الآثار لأكابر المؤرخين ، ونوابغ المؤلفين في عصور النهضة العربية ، وأيام التكامل الاسلامي علمنا انها تستحق كل عناية ورعاية ، بل تستدعي البحث الصحيح والتحري الصادق في الاهتمام بشأنها واحيائها .

واني اذكر ما هنالك من المؤرخين الذين ورد ذكرهم في النبراس :

١) ابن ابي خيثمة . وهو الامام ابو بكر احمد بن زهير بن ابي خيثمة النسائي البغدادي . توفي سنة ٢١٩ هـ — ٨٣٣ م قال في كشف الظنون وهو تاريخ كبير احسن فيه واجاد . وفي (تذكرة النوادر) من المخطوطات العربية ذكر النسخ الموجودة منه . ووالده زهير له كتاب العلم .

٢) الطرْقي . وهو الحافظ موفق الدين ابو نصر احمد بن محمد . وله (كتاب بيان الفرقة الناجية) . وهذا الأثر لم تتداوله الأيدي ، ومؤلفه مذكور في معجم البلدان لياقوت في مادة (طَرْق) وعده من المتأخرين ، ولم يعين تاريخ وفاته .

٣) ابن حزم . نقل من كتبه (نقط العروس في غريب التواريخ) ، ومن (المرتبة الرابعة) . ونقط العروس عندي نسخة منه ، وهو تاريخ صغير ، بل رسالة ربما عدت الى وصفها . وترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ٤٨٣ .

٤) ابو عبد الله بن ابي مريم . سعيد بن الحكم المعروف بـ (ابن ابي مريم) ، وله تاريخ مصر . توفي سنة ٢٢٤ هـ — ٨٣٨ م وترجمته في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٧ و ٨٢ وجاء ذكره في معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٣٨ وفي فهرس ابن النديم .

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ٦٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن مؤلفاته (كتاب المآثر) ، و (كتاب النسب) ، و (كتاب نواقل العرب) .

٥) ابن خدّاع . وله (كتاب المعقبين) .

٦) الطرطوشي . ابو بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري المالكي الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ — ١١٢٦ م . وترجمته في نفح الطيب ج ١ ص ٣٦٨ ، وفي الشذرات ج ٤ ص ٦٢ وفي ابن خلكان ج ١ ص ٦٠٦ ومعجم الأدباء ج ٣ ص ٥٢٩ .

٧) ابو بكر احمد بن كامل القاضي . كان يعد من مجتهدي القضاة ، وهو ابو بكر احمد بن كامل بن خلف بن شجرة المتوفى سنة ٣٥٠ هـ — ٩٦١ م ذكره في صحيفة ١٠٢ و ١٦٨ وقال: من ثقات علماء التاريخ . وجاءت ترجمته في الخطيب البغدادي ج ٤ ص ٣٥٧ وفي معجم الأدباء ج ٢ ص ١٦ ، كان من اصحاب الطبري ثم اختار لنفسه مذهباً ، ومؤلفاته منها كتاب التاريخ ، وأخبار القضاة .

٨) ابو القاسم الأصبهاني . وهو عالم أصبهان . اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي التميمي الأصبهاني . وله كتاب (سير السلف) من أجلّ الآثار منه نسخة في خزانة الأوقاف ببغداد كتبت سنة ٧٧٧ هـ ، وهي برقم ١٢٧٨ ونعت مؤلفها بالشيخ الإمام . ومنه نسخة في خزانة راغب باشا برقم ١٠١٧ كتبت سنة ٩٩٣ هـ ، وفي الكتاب ترجمة والده ابي جعفر محمد بن الفضل .

٩) العباس بن محمد . ذكره في صحيفة ١٦٤ ، وجاء الكلام عليه في الاعلان بالتوبيخ وبين انه أندلسي راجع ص ١٥٥ .

١٠) محمد بن عبد الملك الهمذاني . وله مؤلفات تاريخية منها (عنوان السير) ذكره ابن دحية ومنها الذيل على تاريخ ابي شجاع محمد بن الحسين الهمذاني المتوفى سنة ٥٠٩ هـ — ١١١٥ م ، وذيل على كتاب الوزراء للصولي ، وذيل على تاريخ الطبري .. وتوفي سنة ٥٢٦ هـ — ١٥٣١ م .

١١) المأموني او ابن المأمون . وهو الشريف ابو محمد هارون بن العباس بن المأمون ، وتوفي سنة ٥٧٣ هـ ١١٧٧ م ، وتاريخه أكمل به تاريخ أستاذه ابن الزاغوني المتوفى سنة ٥٢٧ هـ — ١١٣٢ م على السنين ، ألفه ومضى به الى قريب من وفاته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٢) ابو اسحق بن حبيب . وهو ابو اسحق ابراهيم بن حبيب بن الشهيد الأزدي مولاهم . وجاءت ترجمته في (تهذيب التهذيب) ج ١ ص ١١٣ ، ومن مؤلفاته التي نقل منها ابن دحية (تاريخ البصرة)،و(لوامع الأموروحوادث الدهور) جاء ذكره في ص١٦٩ أيضاً . وفي هذا تصحيح لما جاء في كشف الظنون . توفي سنة ٢٠٣ هـ — ٨١٨ م .

١٣) ابن زولاق . وهو ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق المصري . وله (أخبار قضاة مصر) . وجاء ذكره في صفحات عديدة من النبراس ، وتعرّض له في كشف الظنون في تواريخ مصر ، وكذا في (الاعلان بالتوبيخ) . وتوفي سنة ٣٨٧ هـ — ٩٩٧ م . وترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ١٨٨ .

١٤) ابن الأعرابي . هو ابو الطيب محمد ابن اسحق بن يحيى ابن الأعرابي وله (كتاب الفاضل) .

١٥) الزبير بن بكار . وله أنساب قريش ، منه نسخة مخطوطة في خزانة راغب باشا في استانبول ، وجاء ذكره في نوادر المخطوطات ، وترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ٢٦٥ ، وفي معجم الأدباء ج ٤ ص ٢١٨ . توفي سنة ٢٥٦ هـ — ٨٦٩ م .

١٦) الهيثم بن عدي . وهو طائي . نقل من تاريخه وقال : متهم بالكذب عند العلماء . ونبه على جرحه في صحيفة ٢٣٩ وله تواريخ عديدة ولعلّ المراد تاريخه على السنين ، وجاء ذكره في الاعلان بالتوبيخ ص ١٥٩ وترجمته في ابن خلكان ج ٢ ص ٣٠٢ ، وفي معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٦١ . توفي سنة ٢٠٦ هـ — ٨٢١ م .

وفي هذه المراجع ما يجلو صفحة عن جملة من مؤرخينا ، فاذا كان العظيمي اعتمد تواريخ مهمة ، فان ابن دحية عوّل على أخرى فتكوّن لنا منها مجموع كبير .

٥ — سماع الشيوخ :

جاء في صفحة من الكتاب خارجة عن أصله :

« سمع جميع هذا المجلد المشتمل على تاريخ خلفاء بني العباس على مليه رضي الله عنه وأرضاه السادة العلماء :

منهم الفقيه الأجل الشريف العالم قوام الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمود بن محمد الحسيني الاسكندري .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والأمير الأجل الاسفهسلار ضياء الاسلام بهاء الدين الحبيب ابو الفوارس ابن الأمير الأجل العالم الأكمل الاسفهسلار عضد الدين ابي الحمائل مرهف بن أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكلبي .

والفقيه الأجل العالم سراج الدين ابو محمد عبد الوهاب ابن الفقيه الأجل القاضي ابي سليمان داود بن أمير الناس الصنهاجي .

والفقيه الأجل العدل شهاب الدين شبل بن أسد الشافعي .

والشيخ الأجل معين الدين ابو المعالي موسى بن الشيخ الفقيه الزاهد المقري النحوي ابي الحسن علي بن عمار الأنصاري ، وجماعة آخرين منهم من سمع كله ، ومنهم من سمع بعضه مذكورون في غير هذا الموضع . وذلك بقراءة كاتب الأصل والسماع العبد الفقير الى عفو الله ورحمته محمد بن علي بن محمد الأنصاري .

وأغفل ذكر الحافظ العالم النحوي الأصولي شمس الدين ابي محمد عبد الله بن الشيخ ابي الحجاج يوسف بن عبد الله الجذامي ، ويعرف بابن اللمط ، قريب السيد الامام العالم الحسيب النسيب ذي النسبين الطاهرين ابن دحية والحسين رضي الله عنهما . فانه جمعه كله بقراءتي مراراً منها غرة جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة .

وهذه القراءة الأخيرة كانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام أربعة عشر وستمائه .

والحمد لله وصلاته على محمد . » اهـ .

ومن هذا علمنا من كانت له رغبة في التاريخ ، فأخذ ، كما عرفنا كاتب الكتاب .

مؤلفاته الأخرى

وللمؤلف في التاريخ تواليف كثيرة ومصنفات مأثورة ، وأثيرة غير النبراس ولم نقف على شيء منها ، ومن مؤلفاته التي عرفناها :

١ — التنوير في مولد السراج المنير . كانت عندي نسخة منه في مجموعة ، فلم يتيسر لي العثور عليها عند كتابة هذه الكلمة وجاء ذكر النسخة في كشف الظنون وفي نفح الطيب ص ٣٧٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ — كتاب العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور . ذكره المؤلف خلال سطور تاريخه النبراس مراراً ، ونقل من الجلد السادس منه .

٣ — النبراس . وهو المعقود له هذا المقال .

٤ — الصارم الهندي في الرّد على الكندي . وقد ردّ عليه الكندي[1] في رسالة سماها (نتف اللحية من ابن دحية) كما مرّ .

٥ — المستوفى من اسماء المصطفى . ذكره في كشف الظنون وقال : لخصه القاضي ناصر الدين ابن المنيق في كراسة كما ذكره السخاوي في القول البديع ، وأشار اليه أيضاً في الاعلان بالتوبيخ ص ٩٠ .

٦ — المعراج . ذكره في الاعلان أيضاً ص ٩١ .

٧ — كتاب سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب . ذكره في ص ٢٩ .

٨ — الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات . ذكره في نفح الطيب .

٩ — كتاب شرح اسماء النبي ﷺ .

١٠ — كتاب الاعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين . ذكره في نفح الطيب .

ولعل الأيام تكشف عن باقي آثاره ، فتبرز للوجود فنعلم درجة النقد الموجة عليه ، وقيمته العلمية أكثر والله وليُّ الأمر ..

(بغداد) عباس العزاوي

(١) الكندي ابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن البغدادي ثم الدمشقي النحوي . ولد ببغداد سنة ٥٢٠ هـ وتوفي بدمشق سنة ٥٩٧ هـ . وترجمته في معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٢٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net